مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
المجلد 9 العدد 1 / جويلية 2023
ص ص 15-31

أوجه الإعجاز الصرفي في القراءات القرآنية من خلال التفسير (آيات من الذكر الحكيم أنموذجا)

Aspects of Morphological Miracles in Quranic Readings through Interpretation (Verses from the Holy Quran as a model)

الجمعي حميدات
جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، (الجزائر)،
Hamidatdjemai1972@gmail.com

الاستلام: 2023/02/07 القبول: 2023/06/20 النشر: 2023/07/31

ملخص:

لقد أبدى المسلمون ومنذ عهد رسول الله ﷺ اهتماما كبيرا بالقرآن الكريم علما وتعلّما، قرآنا وقراءة ـ وعلى اختلاف توجهاتهم ـ ، لاسيما وأنّ القرآن الكريم يمثل دستور حياتهم ومنهجها الرباني ، ممّا يحتم العمل على الاهتمام به والعمل على مدارسة أوجه البيان والإعجاز فيه، ليخلق هذا الاهتمام كثيرا من الدراسات التي بحثت في إعجازه اللغوي بصفة عامة وإعجازه الصّرفي من جهة أخرى، خاصة حين تعددت قراءاته وفشا اللحن بين قرّائه....فكانت الدراسات الصرفية الصرفة القائمة على بيان التغاير في القراءات وما له من تأثير على الدلالة في صورة ألفاظ (أسماء وأفعال)، وصيغ صرفية تشمل الأفعال من حيث التصريف مع الضمائر، وفي الأسماء من حيث الدلالة تذكيرا وتأنيثا، ومن حيث العدد إفرادا وتثنية وجمعا....

الكلمات المفتاحية: القرآن الكريم؛ القراءات القرآنية؛ تغيرات صرفية؛ إعجاز صرفي؛ الأسماء والأفعال.

Abstract:

Since the time of the Messenger of God, blessing and peace be upon him, Muslims have shown a great interest in the Holy Qur'an in knowledge and learning, both in the Qur'an and recitation - and despite their different orientations - in particular since the Holy Qur'an represents the constitution of their life and its divine approach, which requires a work of attention and a work of study of the aspects of clarification and miraculous in it. This interest has sparked numerous studies that have looked at its linguistic miracle. In general and his morphological miracle on the other hand, especially when his readings were numerous and the vocal error widespread among his readers...

Apure morphological studies based on the observation of the variation of readings and its impact on the meaning in the form of words (nouns and verbs), and morphological formulas that include verbs in terms of conjugation with pronouns, and in nouns in terms of meaning, masculine and feminine, and in terms of number, singular and plural… .

Keywords: the Holy Quran; Quranic readings; morphological changes; morphological inimitability; nouns and verbs.

مقدمة:

منذ البدايات الأولى للتاريخ الإسلامي بدأ الاهتمام بالقرآن الكريم وقراءته اهتماما بالغا بحفظه وتعليمه منقطع النظير لعدّة أسباب مبعثها قداسة القرآن، ثم إعجازه كونه دستور هذه الأمة يتناقله سماعا بسند متصل برسول الله ﷺ ليُخلّف هذا الاهتمام كمًّا من الدراسات كان منطلقها الأول فُشُوُّ ظاهرة اللحن في اللسان العربي.

لقد عني علماء العربية القدامى والمحدثون بالقراءات القرآنية عناية كبيرة فهي تُعدُّ مصدرا أصيلا من مصادر اللغة العربية ودراستها من نحو وبلاغة ودلالة ... كما أنّها أغنى مواد اللغة في إثراء الدراسات الصرفية خاصة، إذ هي المنهل العذب الذي يرتوي منه علماء النحو مادتهم في إيراد الشواهد النحوية، فقد جعلوها نصب أعينهم في توجيه الظواهر اللغوية وبيان الوجوه الصرفية المختلفة.

لقد نزل القرآن الكريم بقراءات متعددة القصد منها في الغالب التيسير على العرب حتى يقرأ كلٌ منهم بما تعوَّده لسانُه، حثا من رسول الله ﷺ وإقرارا بنزوله على سبعة أحرف، والدعوة إلى قراءة ما تيسر منه، وذلك لكثرة العادات الكلامية بين الناس والتي أدت إلى تعدّد قراءات القرآن الكريم، فكل قراءة بحسب ما جرت عليه ألسنتهم من عادات نطقية، وهذه القراءات القرآنية هي السبيل الوحيد الذي يبين لنا مظاهر الاختلاف على مستويات اللغة الأربعة (صوتي، صرفي، نحوي، دلالي)، ثم إنّ القراءات القرآنية الصحيحة المتواترة التي تُقرأ اليوم هي جزءٌ من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم.

لقد كان اهتمام المتخصصين بالقراءات وتفرّدها مبنيا على تحقيق قيم وفوائد، بل وتوجهات لم تكن لتؤدي إلى تناقض أو تضاد في معاني القرآن القائم على الاختلاف في القراءات بقدر ما كان يسعى إلى تحقيق هذا التوجيه على مستويات عدّة من علوم عربية، وهذا ما أراد الباحث كشف الستار عنه من خلال مقاله المعنون بـ "التوجيه الصرفي في القراءات القرآنية في قراءات متواترة"، تتّبع ظواهرها الصرفية من خلال كتب التفسير وبعض القراءات فيها، سعيا لبيان وجوهها في اللغة ومدى تأثير الظواهر الصرفية في معاني الآيات، لتتّضح معالم هذا المقال من تساؤلات تُعدُّ كمدخل للوقوف عند شواهد قرآنية مختلفة بطرح التساؤلات التالية: ما تعريف القراءات القرآنية؟ وما هي أقسامها؟ ما معنى التوجيه وأثره في توضيح المعنى عند ذوي الاختصاص؟ وما مدى بيان أهمية علم الصرف في فهم معاني القرآن الكريم من خلال الاختلاف في القراءات...؟

1. مصطلحات البحث:

1.1. تعريف القراءات لغة: تتعدّد المعاني اللغوية للفعل "قرأ" أو "قرى"، وكانت في الغالب الأعم تدلّ على معنى مشترك هو الجمع أو الاجتماع... والقراءات جمع قراءة وهي مصدر الفعل "قرأ" يقال: قرأ يقرأ قرآنا قراءة بمعنى "تلا" فهو قارئ.... (ابن منظور)، والقراءات في اللغة الجمع وكلّ شيء قرأتَه فقد جمعته، ومعنى القرآن الجمع لأنّه يجمع سورا فيضمها لذلك سُمّي قرآنا، ومنها قولهم/ "ما قرأت هذه الناقة سلًى قط، وما قرأت جنينا"، أي لم تجمع جنينا، أي لم يضمّ رحمُها على الجنين ...قال أبو عبيدة: "سُمّي القرآن لأنّه يجمع القصص والأمر والنهي

والوعيد والآيات والسور بعضها إلى بعض، وهو مصدر كالغفران والكفران..." (ابن منظور).

قال (**ابن فارس**) في مادة قرى: "القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح، يدلُّ على جمع واجتماع، من ذلك القرية سُمّيت بذلك لاجتماع الناس فيها، ويقولون: قريت الماء في المقراة بمعنى جمعته.." (ابن فارس، د،ت، صفحة 74)، وقوله تعالى: "إنّا علينا جمعه وقرآنه.." (القيامة: 17)، أي جمعه وقراءته، فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه. (القيامة.(18)، أي فاتبع قراءته... (الجوهري، 1987، صفحة 65)، وجاء معنى آخر للفعل قرأ غير معنى الجمع، ذكره الراغب الأصفهاني إذ يقول: "والقراءة ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل، وليس يقال ذلك لكلّ جمع، فلا يقال:" قرأت القوم إذا جمعتهم"، ويدلّ على ذلك أنّه لا يقال للحرف الواحد إذا تُفُوّه به قراءة، والقرآن سُمي بذلك من بين الكتب السماوية لكونه جامعا لثمرتها، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم....". (الأصفهاني، د ت، صفحة 402)، مع ملاحظة: إذا أضفنا كلمة قراءة إلى واحد من أعلامنا القُرّاء دلت على منهج معين لهذا القارئ في التلقّي والآداء..... (بن عبد الكريم، 2011، صفحة 13).

1ـ 2ـ التعريف الاصطلاحي: تعدّدت تعريفات القراءات القرآنية عند العلماء والباحثين، فكان أوّل من وضع لها تعريفا هو أبو حيان الأندلسي (حسن عباس، 2008، صفحة 79)، وهي عنده:

"الوجوه المختلفة التي سمح النبي ﷺ بقراءة نصّ المصحف بها قصدا للتيسير، والتي جاءت وفق لهجة من اللهجات العربية..." (الأندلسي، 1998)، إذ نلمس من هذا التعريف أنّ القراءات القرآنية متعدّدة لكنها وافقت لغات العرب.

عرّف (**الزركشي**) القراءات بقوله: "هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها من تحقيق وتنقيل وغيرها.....". (الزركشي، 1957، صفحة 318).

عرّفها (**ابن الجزري**) بأنّها: "القراءات: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة..." (ابن الجزري، 1931، صفحة 3)، فتعريف "ابن الجزري" قريب من تعريف "ابن حيان"، وفيه أشار من خلال التعريف أنّها كلّها تعتمد على السماع والمشافهة من جهة والنقل مشافهة بسند يتصل في نهاية المطاف بالنبي ﷺ.

عرّفها (**عبد الغني الدمياطي**): "هي علم يُعلم منه اتّفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتجريد والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال، وغيره من حيث السماع...". (الدمياطي، 2006، صفحة 6).

وهي عند (**عبد العظيم الزرقاني**): "القراءات مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراءة مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء كانت المخالفة في نطق الحروف أم في هيئتها" (الزرقاني، د ت، صفحة 412).

عند (**عبد الفتاح القاضي**): "هو علم يُعرف به كيفية النطق بالكلمات القرآنية وطرق أدائها اتفاقا واختلافا مع عزو كلّ وجه إلى ناقلة..." (القاضي، د ت، صفحة 7).

ليتبين لنا مما سبق أنّ القراءات القرآنية تعتمد على الأداء اللفظي (الصوتي) أو البنائي الصرفي أو النحوي والذي أُجيز أن تقرأ به الآيات القرآنية من جهة، من جهة أخرى نخلص إلى أنّ

التعريفات هي النطق بألفاظ القرآن الكريم كما نطقها النبي ﷺ، أو كما نُطقت أمامه ﷺ فأقرّها، سواء أكان النطق باللّفظ المنقول عن النبي ﷺ فعلا أو تقريرا، واحدا أو متعددا....." (الفضلي، د ت، صفحة 56).

فالقراءات القرآنية حسب تعريف (ابن الجزري) تهتمّ بكيفية النّطق لكلمات القرآن وطرق أدائها اتفاقا واختلافا مع عزو كلّ وجهٍ لناقله، بينما تعريف "الزركشي" للقراءات فنجده مُقتصرا على الألفاظ المختلف فيها فقط، وبذلك فتعريف "ابن الجزري" أعمّ وأوسع وأشمل، ويشمل كلا من المتفق عليه والمختلف فيه.

2 ـ لمحة عن نشأة القراءات القرآنية:

منذ تلقّي الرسول ﷺ القرآن من لدن حكيم خبير، كان يقرأ ما أُنزل عليه لأصحابه، والصحابة يلتزمون تلاوته وأداءه، وكانت تلاوته بحروف شتى، فمنهم من أخذ عنه القرآن بحرف واحد ومنهم من أخذ عنه بحرفين، ومنهم من زاد على ذلك، ومنهم من أمَره، حتى تفرّقوا بعد ذلك في الأمصار وهم على هذا الحال يقرأون القرآن كما سمعوه عن رسول الله ﷺ بحروفه المختلفة.

وأدرك الصحابة شيئا من هذا الاختلاف وسألوا فيه رسول الله ﷺ فكان يُجيز ما سمع من قراءات، من ذلك ما رواه البخاري في صحيحه أنّ عمر بن الخطاب قال: "سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة "الفرقان" في حياة الرسول ﷺ فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأُها على حروف كثيرة لم يُقرئنيها رسول الله ﷺ كذلك، فكدت أساوره في الصلاة، فانتظرته حتى سلّم ثم لببته بردائي، أو في ردائي، فقلت :من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرئنيها رسول الله ﷺ، قلت له: كذبت، فوالله إنّ رسول الله أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرأها، فانطلقت أقوده إلى رسول الله، فقلت: يا رسول الله إنّي سمعت هذا يقرأ سورة "الفرقان" على حروف لم تُقرئنها، وأنت أقرأتني سورة الفرقان، فقال رسول الله ﷺ: أرسله يا عمرُ، اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرؤها، فقال : هكذا أنزلت، ثم قال رسول الله ﷺ: اقرأ يا عمر، فقرأت، فقال: هكذا أُنزلت، ثم قال: إنّ هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسّر منه....." (البخاري، 1992، صفحة 339).

وكان تفرّق الصحابة في الأمصار إبان الفتوح الإسلامية سببا في كثرة الاختلاف في وجود القراءات القرآنية التي تعدّدت وكثرت حتى أحسّ الكثير من الصحابة أنّ هذا الاختلاف في حاجة إلى ضبط، فرفعوا الأمر للخليفة عثمان بن عفان، فكتب مصاحفَه التي وُزّعت على الأمصار وأجمع الصحابةُ على عدم الاعتداد بما سواها.

انحصرت وجوه القراءات بعد هذا في ما تواتر موافقا للرسم العثماني إلا أنّه ظهرت قراءات لم يتوافر لها السنّد القوي، واكتفى أصحابها بموافقة الرسم "فصار أهل البدع والأهواء يقرؤون بما لا يحل تلاوته وفقا لبدعته، فكان لابُدَّ من إجراءٍ آخر تصدّى له أهل الخبرة والدراية والبصر بهذا الفن، وهو اختيار أئمة من مختلف الأمصار تكون قراءتُهم قدوةً لمن سواهم، رائدهم في هذا الاتجاه "ابن مجاهد" في كتابه "السبعة".

ثم من جاء وأضاف" ثلاثة قرّاء آخرين" فصاروا "عشرة" وأصبحوا هم الذين تنتهي إليهم القراءات الصحيحة التي توافرت لها شروط

القبول، وارتضاها الإجماع، وهذا لا يعني أنّ كلّ قراءة عدا العشرة غير صحيحة، بل هناك قراءة صحيحة السند وخالفت رسم المصحف ولم يُعتدّ بها تنفيذا لإجماع الصحابة على الالتزام بالرسم العثماني....." (الطويل، 1405هـ، صفحة 31).

وهكذا سارت مرحلة القراءة في مطلع القرن الأول الهجري بالاعتماد على الرواية مشافهة من أفواه الصحابة، الذين اخذوا القراءة عن رسول الله ﷺ، واستقرّوا في الأمصار الإسلامية التي بعثها إليهم الخليفة الراشد "عثمان بن عفان"، فكان مع كلّ مصحف قارئ تُوافق قراءتُه أهلَ ذلك العصر في الأكثر الغالب، لتنتقل بعدها القراءات من طور الرواية المجردة إلى طور التدوين والتأليف، مع أوّل مؤلف ينسب إلى "يحي بن يعمر"، ثم "أبان بن تغلب"، "ومقاتل بن سليمان"... وغيرهم ممّن ألفوا الكتب في هذا المجال، لتتابع المؤلفات والتي كان لها الأثر الكبير في توجيه الاهتمام والتأليف في القراءات القرآنية (طيبة النشر في القراءات العشر "لابن الجزري"، الشاطبية "جزر الأماني ووجه التهاني في القراءات المتواترة لابن احمد الشاطبي، الدرة المضيئة لابن الجزري وغيرها.....).

لتبقى القراءات القرآنية من أشرف العلوم الشرعية وأفضلها، موضوعها هو كلمات القرآن من حيث أحوال النطق بها وكيفية أدائها، والغاية منها حفظ كتاب الله بحفظ كلماته من ناحية النطق وصيانتها من التحريف والتغيير، وهي مستمدة من النقول الصحيحة والمتواترة عن علماء القراءات رحمهم الله الموصولة السند إلى سول الله ﷺ والأحرف السبعة ليست هي نفسها القراءات القرآنية وإنما تعد القراءات القرآنية جانبا أو جزءا من تلك الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، وهذه كلها مبادئ علم القراءات.

3. أثر القراءات القرآنية في توجيه المعنى التفسيري:

إنّ لتعدّد القراءات القرآنية واختلافها فوائد جليلة وآثار بليغة في تفسير كتاب الله تعالى واستنباط المعاني الجديدة واتساعها، ثم إنّ الهدف الرئيس من تعدّد القراءات واختلافها هو التيسير ورفع الحرج عن الأمة، لكن إلى جانب هذا الهدف احتوت ظاهرة التنوع في القراءات جوانب أخرى أعطت للنص القرآني تَميُّزه وسُموَّه على الكتب السماوية الأخرى مما استحقّ أن يوصف هذا القرآن بالإعجاز.

وكان من بين هذه الجوانب جانب تعدّد المعاني بتعدّد القراءات إذ كل قراءة زادت معنى جديدا لم تنتبه أو توضّحه القراءة الأخرى، وبهذا اتّسعت المعاني بتعدّد القراءات، ثم إنّ الاختلاف في القراءات لا يختلف عن هذا المقصد إذ كلّ قراءة توضح وتبين معنى جديدا عن القراءة السابقة إذ كل قراءة بمقام آية، يقوا(**ابن عاشور**): "على أنّه لا مانع من أن يكون مجيء ألفاظ القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مرادا لله تعالى، ليُقرأ القرآن بوجوه فتكثر بذلك المعاني، فيكون وجود الوجهين فأكثر في مختلف القراءات مُجزءًا على آيتين فأكثر... وهذا نظير التضمين في استعمال العرب ونظير التورية والتوجيه في البديع..... (بن عاشور، 2000، صفحة 54)، وبهذا يكون من مقاصد الاختلاف في القراءات القرآنية تكثير المعاني واتساعها ولكن من غير تناقض أو تباين فيها، وفي ذلك يقول **(ابن الجزري)**: "... وأمّا حقيقة اختلاف

هذه السبعة أحرف المنصوص عليها من النبي ﷺ وفائدته في أنّ الاختلاف المشار إليه هو اختلاف تنوع وتغاير لا اختلاف تضاد وتناقض.فإنّ هذا محال أن يكون في كلام الله تعالى" (ابن الجزري، 2012، صفحة 49).

1.3. تعريف مصطلح "التوجيه" بين اللغة والاصطلاح:

لمصطلح التوجيه مرادفات ذكرها أئمة العربية: (توجيه القراءات، التعليل، التخريج، الاحتجاج، التأويل، الإيضاح...،) فلُغةً: التوجيه مصدر للفعل الثلاثي المضعّف "فعّل" وجّه، وأصله اللغوي من "الوجه" الذي يحمل عدة معاني منها:

- الوجه معروف والجمع وجوه، ووجه كلّ شيء مستقبله، والجهة: النحو تقول: تقول كذا على جهة كذا، أو الوجهة، والوجهة القبلة وشبهها في كلّ وجهة أي في كل وجه استقبلته وأخذت فيه، وتوجّه إليه ذهب... (ابن منظور)، و(**قال الأزهري**): "يقال خرج القوم فوجّهوا الناس الطرق توجيها، إذا وطؤوه وسلكوه حتى استبان أثر الطريق لمن يسلكه..."، وجهت الريح الحصى توجيها إذا ساقته، وقاد فلان فلانا فوجّهه: أي انقاد واتبع..... (الأزهري، د ت، صفحة 352).

وقال (**الأصفهاني**): "الوجه استعارة للمذهب أو الطريق، ووجّهت الشيء أرسلته من جهة واحدة... (الأصفهاني، 2009، صفحة 756)"، ومن ثَمّ فكلمة "التوجيه" أصلها الوجه والجمع وجوه، وما يلاحظ من التعاريف السابقة أنّها وردت بمعان متفاوتة حسب استعمالاتها عند اللغويين، فهي بمعنى الطريق أو السبيل أو المذهب، أو أنواع وأقسام الشيء الواحد بِردّه إلى أصله، وتقليب اللفظ على وجوهه حتى يستقيم مع بقية الألفاظ.

2.3 التعريف الاصطلاحي:

قال (**الجرجاني**): "التوجيه: إيراد الكلام على وجه يندفع به كلام الخصم، وقيل عبارة على وجه ينافي كلام الخصم..." (الجرجاني، د ت، صفحة 69)، وقال (ابن القاضي): " ... ومنه أي من التوجيه متشابهات القرآن باعتبار احتمالها للوجهين المختلفين، وأمّا باعتبار أنّه يجب في التوجيه استواء الاحتمالين فليست منه..." (بن القاضي، 1996، صفحة 527)، والتوجيه عند علماء القراءات كما عرفه (**إبراهيم الدوسري**): "توجيه القراءات علم يُعنى ببيان وجوه القراءات في اللغة والتفسير، وبيان المختار منها، ويسمى علل القراءات، حجج القراءات، الاحتجاج للقراءات، لكنّ الأولى التعبير بالتوجيه بحيث يقال وجه كذا.. لئلا يُوهَم أنّ ثبوت القراءة متوقف على صحة تعليلها....." (الدوسري، 2008، صفحة 49).

فمن التعاريف السابقة نخلص إلى أنّ التوجيه" هو إيراد كلام محتمل لمعنيين أو أكثر للكشف على وجوه القراءة وترجيحها قياسا على لغة العرب وأئمة اللغة، لإيضاح معانيها المختلفة باختلاف ألفاظها، بغية استنباط الأحكام الشرعية من النصوص القرآنية رواية، واعتمادا على الدراية...

4. أهمية علم الصرف في فهم معاني القرآن الكريم:

كان لنزول القرآن باللغة العربية كبير الأثر في توطيدها وتثبيت دعائمها وتقوية سلطانها على الألسن قبل النفوس، ومنذ نزول القرآن ارتبطت قدسيته باللغة العربية فصار تعلُّم العربية

فرضا على جماعة من الأمة وهم الذين يعمدون لتفسير القرآن ودراسة التراث الإسلامي، والحقيقة التي لا مراء فيها أنّ العلاقة بين العربية والقرآن كالعلاقة بين وجهي العملة الواحة، فلا فهم للقرآن إلا بالعربية، ولا سلطان للعربية إلا بالقرآن، والمتتّبع للدرس اللغوي منذ عصر الجمع والرواية والتدوين يرى إلى أيّ مدى أثّر القرآن في اللغة العربية.

ولعلّ **الجانب الصرفي** خاصة هو أحد أهمّ فُروع الدرس اللّغوي يحتاج إليه جميع أهل العربية أتمّ حاجة، وهُم له أشدّ الفاقة، لأنّه ميزان العربية وبه تُعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها، ولا يُوصل إلى ذلك إلا عن طريق التصريف....." (ابن جني، 1954، صفحة 62).

5. التوجيه الصرفي في بعض القراءات القرآنية من خلال التفسير:

إنّ قارئ القرآن بأكثر من قراءة من القراءات العشر الصحيحة أو المطلّع على علم القراءات يلحظ جملة من التغايرات على مستوى الصّيغ الصرفية للأفعال والأسماء على حدّ سواء، قرئ فيها الفعل أو الاسم في الموضع الواحد بصيغتين صرفيتين فعليتين أو اسميتين مختلفتين.. وبهذا الاختلاف أو التغاير ينتج بناء على العلاقة بين القراءتين قيم دلالية مختلفة تستشف من خلال القراءتين، وعليه كان تقسيم المقال إلى:

أ- وجوه تغاير الصيغ الصرفية للأفعال بأنواع مختلفة.

ب- وجوه تغاير الصيغ الصرفية للأسماء بأنواع مختلفة.

أمّا النّوع المتعلّق **بالأفعال** فمن خلال الوقف عند التغيرات التي مسّت الفعل بصيغتين مختلفتين وتجسيد ذلك من خلال دلالة الفعل المجرّد في مقابل الفعل المزيد، وتغيير صورته ودلالته التصريفية (فعل فعّل، (افتعل انفعل)...الخ، أمّا الاسم فكان التوجيه من خلال طبيعة **الأسماء** من حيث التبادل بين صيغ المشتقات مثلا بين صيغ الجموع والمصادر وغيرها كما في الأمثلة التالية:

أولا: تغاير الصيغ الصرفية للأفعال:(فعل= فعّل)، ينقسم الفعل إلى مجرد ومزيد، فالمجرد ما كانت جميع حروفه أصلية لا يسقط منها حرف في تصاريف الكلمة بغير علة، والمزيد ما زيد فيه حرف أو أكثر على حروفه الأصلية... (الحملاوي، د،ت، صفحة 44)، وللمجرد الثلاثي ثلاثة أبنية (فعَل، فعُل، فعِل) ويختلف مضارعه من مفتوح العين إلى مكسورها إلى مضمومها نحو: يضرِب، يعلَم، يكرُم، أما المزيد بحرف (أفعل، فاعل، فعّل)، وحرفين: (افتعل، انفعل، تفاعل، تفعل، أفعل)، وبثلاثة أحرف أشهرها (استفعل)..... (زرندح، 2007، صفحة 42).

1- **قال تعالى:** ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا... ﴾﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا ﴾ (الزمر71، 73)

قرأ الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي وخلف (فُتِحت) بتخفيف التاء، وباقي القراء العشر نافع وأبو جعفر وابن كثير وأبو عمر (فتّحت) بتشديدها.. (الأصبهاني، د ت، صفحة 385)، فأمّا من قرأ "فُتِحت" فهو فتح عام، وأما من قرأ "فتّحت" فهو فتح خاص فيه التكثير، والتكثير هنا في المفعول وهو الأبواب (فعّل) وهو الأبلغ عند الأزهري، أما" ابن خالويه" فيرى أنّ الأبواب في قراءة التخفيف قد فُتِحت جميعا في آن واحد

فكان الفتح واحدا، أمّا في قراءة التشديد فالفعل متكرّر، لأنّ كلّ باب منها قد فُتح..... (ابن خالويه، 2007، صفحة 445)، وهو قريب من الأول، والقول إنّ التخفيف في الفعل يصلح للتقليل والتكثير والتخفيف هو الأصل، إلا أنّ التشديد يختص بأكثره، ذلك أنّ لكل زيادة في المبنى زيادة في المعنى على رأي أكثر علماء اللغة.

لقد تغايرت القراءة بين (فعل وفعّل) والنتيجة واحدة، انفتاح أبواب الجنة للمتّقين وأبواب النّار للكفار، ويمكن القول :إنّ بين القراءتين عموم وخصوص، إذ دلّت "فُتحت" على فتح عام، وفُتّحت" فدلالتها خاصة بنوعٍ من الفتح فيه تكرار للفعل مبالغة في المعنى، وقد أشار عبده الراجحي: "أنّ الأولى تدلّ على الحدث عموما، والثانية على التكثير والمبالغة" (الراجحي، د،ت، صفحة 32)، وفي هذا المعنى أشار (**ابن جني**) في الخصائص، "في باب قوة اللفظ لقوة المعنى"، و(سيبويه) في الكتاب: "....اعلم أنّ التخفيف في هذا جائز كلّه عربي، إلا أنّ "فعّلت" إدخالها ها هنا لتبيين الكثرة، أي أنّ المخفف عام الدلالة على الحدث، في حين يدلّ المشدد على المبالغة فيه....". (سيبويه، 1988، صفحة 64).

2- **قال تعالى**: ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾ (الأنعام 62)، قرأ عامة العشرة وهم لا " يُفَرّطون" بتشديد الراء، وقرأ الأعرج وهم لا "يَفْرُطون"، بتخفيف الراء وسكون الفاء... (ابن جني، 2004، صفحة 223)، فمعنى قراءة العامة أنّ الملائكة لا يُقصّرون فيما يؤمرون به مِن توفي مَن حضره الموت، ولا يغفلون ولا يتوانون، أمّا قراءة الأعرج لا" يفرُطون" فهو من الإفراط أي الزيادة، فهم لا يزيدون ولا يتوفون إلا من أمروا بتوفّيه ولا يتجاوزون ا لحدّ في ذلك، قال (ابن جني): "أفرط في الأمر إذا زاد فيه، وفرّط فيه إذا قصّر، فكما أنّ قراءة العامة لا يُفرّطون فيما يؤمرون به من توفي من حضرت منيته، فكذلك أيضا لا يزيدون ولا يتوفون إلا من أمروا بتوفّيه"، ونظيره قوله تعالى: "وكلّ شيء عند بمقدار" (الرعد 9)، فدُلّ بالقراءتين على أنّ الملائكة يفعلون ما يؤمرون به دون زيادة أو نقصان، فكلّ قراءة وضّحت معنى من مراد الله عز وجل دون تضاد أو تناقض وهو من باب التوسع في المعاني من غير تباين في معنى القراءات وفي هذا يقول (الزمخشري): "يفرّطون بالتشديد والتخفيف، فالتفريط التواني والتأخير عن الحدّ والإفراط مجاوزة الحد أي لا ينقصون مما أمروا به ولا يزيدون فيه..." (الزمخشري، 2000، صفحة 32).

3- **قال تعالى**: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ **(محمد 22)**

قرأ يعقوب "تقْطَعوا" بتاء مفتوحة وقاف ساكنة وطاء مفتوحة مخففة، وباقي القراء "تُقطِّعوا" بتاء مضمومة وقاف مفتوحة وطاء مكسورة مشددة... (ابن الجزري، 2012، صفحة 539)، فأما قراءة "تقطعوا "فمن قطع رحمه يقطعها "ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل" (البقرة 27)، أمّا قراءة "تقطّعوا" فمن قطّع رحمه قطّعها من التّقطيع على التكثير دائما (القرطبي، 1964، صفحة 211)، وهو أبلغ في باب قطيعة الرحم...." (الأزهري أ.، 1991، صفحة 476)، بل هو موضّح ومحدّد لطبيعة

الفعل العامة في قراءة التخفيف، قال تعالى: "وتقطّعوا أمرهم بينهم" (الأنبياء 93).

إنّ الله تعالى يوجّه خطابه إلى هؤلاء الذين إذا ذُكر القتال في سبيله نظروا إلى رسول الله ﷺ نظر المغشي عليه، بأنّه إن تولوا عن تنزيل الله وفارقوا أحكامه عصوا في الأرض وسفكوا الدماء، وقطعوا أرحامهم على ما كانوا عليهم في جاهليتهم، والقراءتان منسجمتان، الأولى عامة الدلالة على القطع، والثانية للمبالغة في الفعل، إذ أمر الله بصلة الرحم لأنّ ذلك هو الأصل والواجب، ومن قطعها فقد قطّعها مبالغة في فصل ما حقه الوصل.

4- قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (الواقعة 60). وقوله: ﴿فَقَدَّرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ (المرسلات 20)، قرأ ابن كثير في موضع الواقعة "قدّرنا" خفيفة الدّال، والباقون بتشديدها "فقدّرنا" في حين قرأ نافع وأبو جعفر والكسائي موضع المرسلات "فقدّرنا" بدال مشددة، وباقي القراء العشر بتخفيفها "فقدرنا" (ابن الجزري، 2012، صفحة 650)، هذان الموضعان فيهما خلاف إذ قيل: "إن (قدر وقدّر)" وهو رأي الجمهور، لقد قيل: "إن التشديد للتكرار كأنّه مرة بعد مرة، أمّا التخفيف فمن القدرة، ذلك أنّ اللفظتين يكونان بمعنيين وفائدتين يدلان على التقدير والقدرة أولى من أن يكونا بمعنى واحد، موافقا بذلك الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، فإن كانت القراءتان لغتين فالمعنى واحد، ولذا فالقول: إنّ الله تعالى هو القادر على كلّ شيء والمقدّر لكل شيء سواء أكان التقدير مرة واحدة أم مرة بعد مرة، ولا تعارض بين القراءتين بل انسجام وتلازم، إذ القادر هو المقتدر، وما كان ليقدّر الأمور لولا قدرته، وتقديره دليل قدرته.

ثانيا: تغاير صيغة القراءة بين: (أفعل = فعّل): (صيغة: (أفعل) :تزاد الهمزة في هذه الصيغة لتدل على معان متعددة منها التعدية، أي جعل الفعل اللازم أصالة متعديا، ثم تُصيّر الفاعل مفعولا (قعد زيد، أقعدت زيدا)، (جلس، أجلسته، ذهب، أذهبته) (زرندح، 2007، صفحة 42).

1- قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ (غافر 13)، قرأ ابن كثير وأبو عمر ويعقوب (ينْزِل) بنون ساكنة وزاي مكسورة خفيفة، والباقون (ينزّل)بنون مفتوحة وزاي مكسورة مشددة... (ابن الجزري، 2012، صفحة 523)، وقوله تعالى: ﴿ولَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (الشورى 27)، وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى 28)، في الموضعين الأخيرين قرأ ابن كثير وأبو عمر ويعقوب وحمزة والكسائي (ينْزِل) بنون ساكنة وزاي مكسورة خفيفة، وباقي القراء العشر (ينزّل)، "أنزل أفعل"، بنون مفتوحة وزاي مكسورة مشددة، والقول إنّ الصيغتين "أفعل وفعّل" من مزيد الثلاثي، وقد زيد في أول همزة والثاني حرف من جنس عينه فضعّف، ثم إنّ الزيادة في المبنى زيادة في المعنى، وتكثير اللفظ لتكثير المعنى، ومما يستفاد من الزيادة في الصيغتين "التعدية" سواء كان بالهمز أم بالتضعيف، أي جعل الفعل اللازم متعديا، وإن كان متعديا لمفعول صار متعديا لمفعولين، كما أن "فعّل" تدل على التكثير.

أما عن تغاير القراءة" ينزل وينزّل" فقد اختلف أهل اللغة بإزائه، إذ هما لغتان عند أكثرهم، يقول (سيبويه) في الكتاب: "قد يجيء الشيء على فعلتَ، فيشرك أفعلتُ، مثل: أفرحتَ وفرّحتَ، أنزلتَ ونزّلتَ...." (سيبويه، 1988، صفحة 55).

فإن كان كل واحد من نزّل وأنزلَ يستعمل كما يستعمل الآخر ويعني بما يعني بالآخر لم ينكر أن يوقع كل منهما موقع الآخر وهذا مما يعلم منه، أنّ فعّلَ بمنزلة أفعَلَ، وأنّ تضعيف العين للتعدي وليس يراد به الكثرة، تقول: "نزل الرزق مكتف بذلك الفعل بالفاعل، فإن أردت تعديته قلت أنزل الله الرزق أو نزّله"، هذا وقد فرق البعض بين الصيغتين إذ "ينزل" دالة على عموم الحدث وهو إنزال الله الرزق في دلالة مجازية علاقتها المسببية (الماء، الرزق، سبب، مسبب)، أو نتيجة من النازل من السماء وهو المطر، أما صيغة "ينزّلُ" المشددة فتفيد الكثرة في الفعل للدلالة على تكرار النزول ومداومته شيئا بعد شيء، وهي مبينة للقراءة الأخرى إذ هو نزول خاص فيه تجديد للفعل تكرار حسب حاجة الناس بل حسب تقريره سبحانه وتعالى.

2- **قال تعالى:** ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ (الحشر 2)، قرأ أبو عمر "يُخَرّبون" بخاء مفتوحة وراء مكسورة مشددة، وباقي القراء "يخْربون" بخاء ساكنة وراء مكسورة خفيفة.. (ابن الجزري، 2012، صفحة 642)، فأما من قال إنّ "أخرَبَ وخرّبَ"، لغتان مثل أخرَجَ وخرّجَ، أغرَمَ وغرّمَ، فالمعنى واحد، أمّا من فرق بينهما فذلك أنّ يخرّبون للدلالة على تكثير الفعل وترديده، وفقا لمذهب الصرفيين (فعَّلَ مضعف العين تفيد التكثير).

إنّ دلالة كل قراءة تتّضح في ضوء سياقها اللغوي وغير اللغوي مما يعكس المعنى السياقي والذي لا يتضح إلا في ضوء العلاقات الداخلية لعناصر الملفوظات والعلاقات الخارجية لها مع المجتمع والظروف المحيطة به في الواقع، أي في ضوء السياق الذي ترد فيه حتى ما كان منه غير لغوي... فأما الأولى فقوله تعالى: "هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ" (الحشر 2)، فقد ثبت من الآية في سياقها اللغوي خروج أهل الكتاب من ديارهم أي رحيلهم عنها، وهي دلالة القراءة التخفيف عند من قال "يخْربون"، وأما الثاني فقد نزلت في بني النضير من اليهود الذي عاهدوا الرسول ﷺ لما هاجر إلى المدينة على ألا يكونوا لا معه ولا عليه، ثم نكثوا عهدهم لما كانت غزوة أحد فحاصرهم الرسول ﷺ إحدى وعشرين ليلة في حصونهم وفرض عليهم الجلاء، وكان ذلك فعلا أي رحيلهم، فتركوا مساكنهم خرابا (وهو من باب الاستدلال بالمسبب على حصول السبب لأنّ حصول الرعب في قلوبهم سبب في تخريب بيوتهم).

لقد تضافرت القراءات في وصف ما حلّ ببني النضير في أول الحشر، وتبيين كذلك لأنهم أوّل من أخرج من جزيرة العرب إلى الشام، ثم أجلى عمر بن الخطاب آخرهم... لقد هدّم هؤلاء اليهود منازلهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فعلا، متكررا مبالغة فيه من جزائه في قراءة (يخرّبونَ)، ثم (أخربوه) في قراءة "يخربون" بأن أخرجوا منها وتركوها خرابا.

ثالثا: تغاير الصيغة بين: (انفعل وتفعّلَ): يشير الصرفيون في باب المزيد من الفعل الثلاثي بحرفين مجيئه على خمسة أوزان: (انفعل، افتعل، تفعّل، تفاعل، افعلَّ) وتعدد المعاني المستفيدة من الزيادة من صيغة إلى أخرى أشهرها "المطاوعة" كنقطة الاشتراك بين جميع الصيغ عدا (افعلَّ) الدالة على اللون أو العيب.... (زرندح، 2007، صفحة 53).

قال تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ (الشورى 5)، في موضع واحد من القرآن الكريم قرأه أبو عمر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب "ينفطرن" انفعل بنون ساكنة بين الياء والفاء مع كسر وتخفيف الطاء، وباقي القراء يتفطَّرنَ "بتاء مفتوحة وطاء مفتوحة مشددة... (ابن الجزري، 2012، صفحة 595)، وتأتي صيغة انفَعلَ للدلالة على المطاوعة نحو: كسرته فانكسر أما صيغة تفعَّلَ فتفيد المطاوعة، الاتخاذ، التكلف، التدرج، نحو: تكسّرَ، توسَّدَ، تجنَّبَ، تدرَّجَ، تهجَّدَ.... (زرندح، 2007، صفحة 53)، تلك هي الدلالات الصرفية للصيغتين وهي في معزل عن السياق، والذي تشتركان فيه (المطاوعة).

إن من قرأ "ينفطرن" فهو مطاوع "فَطَرَ"، أما من قرأ "يتفطَّرنَ" فهو مطاوع "فَطَّرَ" إلا أنّ الأخير يوحي بالمبالغة والتكثير، أي هناك اتفاقا بين الصيغتين من حيث الدلالة على المطاوعة، إلا أنّ قراءة التجديد معبرة بدلالتها على التكثير عن المعنى مبالغة واستعظاما على قدر شناعة ما ادعاه الكفار فتكون موضحة للقراءة الأخرى العامة الدلالة.

ومما قيل في تفسير الآية: "تكاد السماوات يتشققن من فوق الأراضين من عظمة الرحمان وجلاله" وذلك باعتبار السياق القبلي وهو قوله تعالى: "وهو العلي العظيم" (الشورى 2)، وقيل من ادّعاء الكفار الولد لله، تنزّه عن ذلك وهو باعتبار قوله تعالى: "وقالوا اتخذ الرحمان ولدا لقد جئتم شيئا إدًّا يكاد السماوات يتفطرن" (مريم 88-90) أي باعتبار القرآن الكريم يفسّر بعضه بعضا كنص واحد.

رابعا. تغاير الأصلين للصيغة الواحدة:

1- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات 6)، قرأ حمزة والكسائي وخلف بالثاء والتاء، "فتثبتوا" وباقي القراء العشرة بالباء والنون "فتبيَّنوا"، مما جعل تعدّد الآراء من خلال:

- اختلاف ظاهر بين القراءتين في هذا الموضع والرأي فيه أنّ التثبت خلاف الإقدام والمراد به التأني (حمزة والكسائي وخلف)، أمّا التبيين فقد يكون أشدا وإن كانا متقاربين.

- الأمر بينهما قريب لأن من تبين فقد تثبت، ومن تثبت فقد تبيّن، غير مرادف بينهما مرادفة تامة وغير محدد الفرق بينهما وربما ذلك لصعوبته كما فعل "ابن خالويه."

عند ابن عطية يرى أنّهما واحد ذلك أن التّبيّن محاولة لليقين، وهو لا يلزم بالضرورة بيان الشيء، والتثبت كذلك فهما سواء... ليأتي (ابن عاشور) ويدلي بدلوه فيقول: "والتّبين: تطلب البيان وهو ظهور الأمر، والتثبت التحري، وطلب الثبات وهو الصدق..." (بن عاشور، 2007، صفحة 236)، وغير مخالف غيره في التبيين خلافا للتثبت إذ يبدو عنده أنّ التثبت من الثبات والرسوخ أي الصدق فيما هو عند غيره من الثبات عكس الإقدام والتسرع.

مما سبق يتّضح التفاعل الدلالي بين القراءتين في تبيان الدلالة، فالله تعالى يأمر عباده المؤمنين بالتأني في قراءة "تثبَّتوا" للتأكد من حقيقة ما زعمه الفاسق ليعلموا هل حق أم باطل أم افتراء؟؟؟، أما القراءة الأخرى "تبينوا" فدلالتها اطلبوا الصدق والحقيقة وذلك يستلزم التأني وإن كان التأني أو التثبت غايته التبيين فأنت تتثبت للعلم ومعرفة الحقيقة أي للتبيين، فإذا تبينت فلأنك تثبَّتَّ، فهي وسيلته.

2- **قال تعالى**: ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾ (البقرة 259)، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمر "ننشرها" بالراء وقرأ عاصم بن عامر وحمزة والكسائي بالزاي "ننشزها" فمعنى قراءة "ننشرها" أي إحياؤها وبعثها بعد موتها، أما قراءة ننشزها بمعنى نرفعها، والإنشاز: نقلها إلى موضعها برفع بعضها إلى بعض وتركبه على حالته الأولى، فترفع العظام وتركب للأحياء، ومنه نشوز المرأة أي ارتفاعا على زوجها "واللاتي تخافون نشوزهن"، وفي قوله تعالى: "وإذا قيل انشزوا فانشزوا" أي ارتفعوا.

وقال (الزجاج): " من يقرأ ننشزها بالزاي، ننشرها بالراء، فمن قرأ ننشزها كان معناه نجعلها بعد بِلاها ناشزة ينشز بعضها إلى بعض أي ترتفع، والنشز في اللغة ما ارتفع عن الأرض، ومن قرأ "ننشرها" فهو من أنشر الله الموتى ونشرهم وقد يقال نشرهم الله أي بعثهم ومنه "وإليه النشور" (الملك 18)... (الزجاج، 1988، صفحة 344).

فحاصل القراءتين أنّ الله بين كيفية إحياء الموتى وذلك بإحياء العظام وبعثها من موتها التي كانت فيها، كما دلّت عليه القراءة بالراء، وبينت القراءة بالزاي كيفية إحياء العظام وذلك برفع بعضها إلى بعض حتى التمأت، فضمن الله تعالى المعنيين في القراءتين تنبيها على عظيم قدرته خاصة وأنّ المقام السياقي هو التدليل على عظيم قدرته سبحانه في البعث والإحياء والتركيب من غير تناقض أو تباين أو تضاد فيهما.

3- **قال تعالى**: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ (البقرة 219)، قرأ حمزة والكسائي فيهما إثم كثير بالثاء، وقرأ الباقون إثم كبير، فمعنى قراءة حمزة والكسائي إثم كثير من الكثرة، وذلك لأنّ شرب الخمر يحدث معه آثام كثيرة من لغط، وتخليط وسب وعداوة، فوصف بالكثرة واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: "إنما يريد الشيطان أو يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر" (المائدة 91)، ووُصف الإثم بالكثرة إما باعتبار الآثمين، فكأنه قيل فيه للناس آثام، أي كلّ واحد من تعاطاها آثم، أو باعتبار ما يترتب على شربها مما يصدر من شاربها من الأفعال والأقوال المحرفة.. (الأندلسي، 1983، صفحة 158)، أما من قرأ بالثاء فمعنى قراءة إثم كبير فهو من الكبر والعظم أي فيهما إثم عظيم واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: "والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش..." (الشورى 37)، لأنّ شرب الخمر من الكبر فكذلك ينبغي أن يكون عليه إثم كبير، خاصة وأنها توقع العداوة والبغضاء وتحُول بين المرء وعقله الذي يميز به.

فحاصل القراءتين هو التأكيد على تحريم الخمر ونبذها لعظيم إثمها وعقوبتها وكذلك لكثرة آثامها فلا تناقض بين القراءتين لأنهما في ذم الخمر وتقبيح شاربها، فكل قراءة بينت أمرا

هو فيها وهو من باب الاتساع في المعاني الذي لا يقتضي التضاد والتباين، وكلتا القراءتين مراد الله عز وجل.

خامسا: تغاير الصيغ الصرفية في الأسماء:

صورة من صور التغاير على مستوى الأسماء مختصرة في استعمال بعض القراء للفظ الواحد بصيغة مصدرية، ويقرأه آخرون باسم مقابل للمصدر أو باسم الفاعل أو باسم المفعول، أو في صورة تغاير وتبادل بين صيغ الجنس والعدد، كما يتجلى من خلال:

التغاير على مستوى المصدر: المصدر في العربية أصل الاشتقاق، وهو ما دل على حدث مجرّد من الزمن كذهاب من ذهب ولعب من لعب وفهم من فهم"، يقول ابن مالك:

"المصدر اسم ما سوى الزمن

من مدلولي الفعل كأمْن من أمِن

1- **قال تعالى**: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (الزخرف 10)، فقد قرأ الكوفيون عاصم وحمزة والكسائي وخلف "مهدا" بميم مفتوحة وهاء ساكنة دون ألف، وباقي القراء العشرة "مهادا" بميم مكسورة وهاء مفتوحة ممدودة الألف.." (ابن الجزري، 2012، صفحة 596)، وكما كان الاختلاف حاصلا في القراءة كذلك اختلف أهل اللغة والتفسير ففهم من قال إنهما لغتان، ولا فرق ذلك أنّ المعنى واحد، أي بتمهد ويتصرف فيها، وذلك الفراش ومنه مهد الصبي، في وقت فرق فيه آخرون بين القراءتين ورجحوا قراءة الكوفيين "، مهادا"، ها هنا أولى لأن "مهدا" مصدر وليس هذا موضع المصدر إلا إذا أضيف "أي ذات مهد" أي ممهدة، أو أنه مصدر كالفراش لكن عمل فيه عامل من غير لفظه وهو "جعل" والتقدير "الذي مهد لكم الأرض مهدا "فهو مفعول مطلق محتجا لمن قرأ بالألف مهادا أنه جعله اسما كالفراش والبساط وهو اسم ما يمهد ويبسط "الذي جعل لكم الأرض فراشا" (البقرة)، "الذي جعل لكم الأرض بساطا" (نوح 19)، ومعناه من السياق ممهودة، والعرب تضع المصادر مواضع الموصوف فتقول: "رجل رضى" بمعنى مَرْضِي، وعَدْل بمعنى عادل، وسواء كان مفردا أو جمعا فهي دال على ما يُفرش.

إنّ الله تعالى قد مهد الأرض مهدا في قراءة المصدر مفعول مطلق للتبيين والتوكيد وكأن الله جعل لكم الأرض وطاء توطئوها بأقدامكم، وجعل الأرض مهادا في قراءة الاسم من باب المجاز أي جعلها لكم كالفراش، وقد يكون حقيقة إذ يتّخذها البعض فراشا، إذ هو مصدر مجموع على معنى مهد الأرض مهادا تبيينا وذلك ملتقى الدلالة، فشبهت الأرض بالفراش بما في ذلك مهد الصبي لما فيها من راحة ومنافع للناس.

2- **قال تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حَجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران 97)، قرأ جميع الجمهور "حَجُّ"، بفتح الحاء، وقرأ الحسن البصري حِجُّ بكسر الحاء في جميع القرآن، وهما لغتان، الكسر لغة نجد والفتح لغة أهل العالية.. (بن محمد، 1982، صفحة 170)، وقيل بالفتح المصدر وبالكسر الاسم، قال سيبويه: "الحَج كالردّ والشدّ والحِج كالذِّكر، فهما مصدران" (سيبويه، 1988، صفحة 42)، بمعنى الحج كثرة الاختلاف والتردّد وقد حج بنو فلان فلانا إذا أطالوا الاختلاف إليه، وتقول حججت فلانا إذا أتيته مرة بعد مرة، فقيل: "حج البيت لأنهم

يأتونه كلّ سنة" (الزبيدي، 2008، صفحة 640)، والحِج بكسر الحاء يريدون عمل سَنة واحدة، أو قضاء نسك سنة واحد ولم يجيئوا به على الأصل بالفتح لكنه اسم له، وأكثر ما التزم كسر الحاء في قولهم ذي الحجة، أما قولهم "حجة الوداع" ونحوه فإنها على الأصل، والحجة بالكسر المرة الواحدة من الحج، وهو شاذ لوروده على خلاف القياس لأنّ القياس في المرة الفتح في الثلاثي "فَعلة"، وعلى "الهيئة" فِعلة بالكسر (محيسن، 1984، صفحة 239)، وخلاصة القول الحج بالفتح مصدر من الفعل "حجَّ يحجُّ"، والحج بالكسر اسم المصدر وهناك من يرى أنهما لغتان في المصدر (اختلاف لهجي).

3- **قال تعالى**: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ (الأحقاف 15)، قرأ الكوفيون في الموضع الأول 'إحسانا" بألف وحاء ساكنة وسين مفتوحة ممدودة بألف، وباقي القراء "حسنا" بحاء مضمومة وسين ساكنة دون ألف، وقرئ في الثاني "فصله" بفاء مفتوحة وصاد ساكنة دون ألف، وباقي العشرة "فصاله" بفاء مكسورة وصاد مفتوحة ممدودة بألف (ابن الجزري، 2012، صفحة 633)، إن من قرأ "حُسنا" أعمّ في البر، وذلك أنه سُمِّيَ ذلك الفعل الحسن بالحسن على سبيل المبالغة، والمعنى" فليَأْتِ في أمرهما أمرا ذا حسن أي ليأتِ الحسن في أمرهما دون القبح"، وتمام الجملة بعد تقدير ما فيها من محذوفات : "وصينا الإنسان بوالديه فليأت في حقهما أو أمرهما أمرا ذا حسن."

إنّ القراءتين تتضمنان توكيدا لفعل محذوف تقديره في قراءة الكوفيين "ووصينا الإنسان بوالديه أن يحسن إليهما إحسانا"، وفي قراءة غيرهم أن يحسن إليهم حُسنا، مفعولا مطلقا في الأولى ونائبا عنه في الثانية، تأكيدا لوجوب برّ الوالدين بالإحسان إليهما في قراءة" إحسانا" وبالفعل ذي الحسن أي الحسن في قراءة "حُسنا" أو فعلا حسنا مبالغة في المعنى.

أما عن الموضع الثاني فقيل: "الفصل والفصال، كالفطم والفطام، لغتان بمعنى، فلا فرق في الدلالة وقيل غير ذلك، إذ أنّ "فصله" مصدر للثلاثي فَصَلَ، والولد يُفصل إذا فُطم، أما فصاله فيجوز أن يكون مصدرا ويجوز أن يكون وقتا للفصام..." (الأزهري أ.، 1991، صفحة 470)، فإذا كان مصدرا فهو للفعل "فاصل" من باب "فَاعَل فِعَال (قاتل قتال وخاصم خصام) وقد يكون مُفاعلة (خاصم مُخاصمة وقاتل مقاتلة) والتي تفيد "المشاركة"، وهي من اثنين بمعنى فاصل أمّه ففصلته ففاصلته، أمّا "فَصْله فكأنّ الأم هي التي فصلته.

إنّ القول في هذا الموضع إن الفصال ـــــ مصدرا كان أو اسما يدل على المشاركة في الفعل، من الرضيع وأمه خلافا للفصل إذ هو من الأم لا غير، وإن كانت النتيجة واحدة هي انتهاء مدة الرضاع، فإذا كان الفصل اسما للوقت على ما ذُكر فقد زاد قراءة المصدر توضيحا لأنّ المصدر ما دلّ على حدث مجرد من الزمن.

سادسا: التغاير بين اسم الفاعل واسم المفعول:

يقرّر الصرفيون أنّ اللغة العربية تَشتق من الأفعال أسماء تدلّ على الفاعل أو المفعول أو المبالغة أو الصفة المشبهة، ويخضع في هذا الاشتقاق إلى قواعد صارمة وضوابط محددة.

1- قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ (النساء 25)، قرأ الكسائي وعلقمة "المحصِنات" و"محصِنات" معرّفا ومُنكّرا، حيث جاء بكسر الصاد لأنهن يُحصنن أنفسهن بالعفاف وفروجهن بالحفظ، وقرأ الجمهور "المحصَنات" بالفتح، وفيه وجهان أحدهما أنه أسند الإحصان إلى غيرهن من زوج أولي أو بالإسلام، ولأن هذا المفتوح الصاد بمنزلة المكسور يعني أنّه اسم فاعل، وإنما شذَّ فتح عين اسم الفاعل في ثلاثة ألفاظ (أحصن فهو محصن، وألفح فهو ملفح، وأسهب فهو مسهب....) (الحلبي، صفحة 646)، واشتقاق الكلمة من التحصين وهو المنع ومن ذلك مدينة حصينة أي منيعة، فالمحصنة ذات الزوج قد منعها وأحصنها أي أعفها، والمحصِنة الحرة لأنّ الإحصان يكون بها والعفيفة الممتنعة عن الفسق.

سابعا: التغاير بين اسم الفاعل وصيغ المبالغة: قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ (الفلق 4)، قرأ "رويس" عن يعقوب بخلاف عنه والكسائي "النافثات "بنون ممدودة بألف وفاء مكسورة، وباقي العشرة "النفاثات "بتشديد الفاء مفتوحة بعدها ألف من غير ألف بعد النون (ابن الجزري، 2012، صفحة 655)، فأمّا قراءة النفاثات" فجمع نفّاثة وهي "صيغة مبالغة" أي كثيرة النفث مبالغة في الفعل، والنفث نفخ من غير ريق بخلاف التفل.. أمّا قراءة "النافثات" فاسم فاعل وجاء جمع مؤنث سالم مفرده نافثة وهي النافخة الفاعلة دلالة على الفعل والفاعل، وفيهم من اعتقد أنّ معناهما واحد، لكن الأصل أنّ المبالغة تختص بها صيغة المبالغة دون اسم الفاعل، ويتعلق الأمر بجمع نافثات سحرن رسول الله ﷺ وعقدن له إحدى عشر عقدة، فكّها الله تعالى بإحدى عشرة آية وهي المعوذتان.

إنّ القراءتين تلتقيان في الدلالة على اسم الفاعل والقائم به على أنها دلالة عامة في النافثات، ودلالة خاصة مبالغة في الفعل وتكثيرا له في قراءة النّفاثات، كما أنّ الأخير مبينة لدرجة الفعل غير المحدد إياها في الأولى وذلك كلّه من سحر لغة القرآن وبيان إعجازه.

خاتمة:

اقتصرنا في هذا المقال على بعض صور التغاير في الأسماء والأفعال على سبيل المثال لا الحصر في أمثلة معطاة للتحليل كثيرة هي في الذكر الحكيم، خاصة في باب الأسماء، وبصفة عامة فالتغاير في القراءات لم يحدث فيه اضطراب فكان المعنى متقاربا عموما بدلالة أنّ الاختلاف هو اختلاف بعيد عن التضاد أو التباين، وكثيرا ما كان التوسّع في المعنى وإثراء العربية بلغة القراءات كنتيجة متوصل إليها من خلال التغاير بين القراءتين، إضافة إلى أهمية الدرس القرآني واهتمامه بمستويات الظواهر اللغوية والصرفية والنحوية والدلالية.

قائمة المراجع:

1. إبراهيم الدوسري. (2008). مختصر العبارات لمعجم مصطلح القراءات (الإصدار 1). الرياض: درا الحضارة للنشر.
2. ابن الجزري. (1931). منجد المقرئين ومرشد الطالبين (الإصدار د ط). القاهرة: مكتبة القدسي.
3. ابن الجزري. (2012). طيبة النشر في القراءات العشر (المجلد 1). سوريا: مكتبة ابن الجزري.

4. ابن جني. (2004). المحتسب في شتى وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها (المجلد 1). (علي النجدي ناصف، المحرر) القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

5. ابن خالويه. (2007). الحجة في القراءات السبع. بيروت: دار الشروق.

6. ابن منظور. (بلا تاريخ). لسان العرب، مادة قرأ. بيروت: دار صادر.

7. ابن منظور. (بلا تاريخ). لسان العرب، مادة، و.ج.هـ.

8. أبو الفتح عثمان ابن جني. (1954). شرح كتاب التصريف للمازني. (ديزيرة سقال، المحرر) بيروت: دار إحياء التراث القديم.

9. أبو حيان الأندلسي. (1983). البحر المحيط في التفسير (الإصدار 1، المجلد 3). بيروت: دار الفكر.

10. أبو حيان الأندلسي. (1998). ارتشاف العرب من لسان العرب (الإصدار 1). (رجب عثمان، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.

11. أبو منصور الأزهري. (1991). معاني القراءات (الإصدار 1). المملكة العربية السعودية: مركز البحوث في كلية الآداب - جامعة الملك سعود.

12. أحمد ابن فارس. (د،ت). معجم مقاييس اللغة. (عبد السلام محمد هارون، المحرر) بيروت: دار الجيل.

13. أحمد بن عبد الكريم. (2011). لتوجيهات النحوية واللغوية (الإصدار 1). عمان: دار دروب للنشر.

14. أحمد بن محمد الحملاوي. (د،ت). شذا العرف في فن الصرف. (عبد المعطى، المحرر) الرياض: دار الكيان للطباعة والنشر والتوزيع.

15. الأزهري. (د ت). تهذيب اللغة (الإصدار د ط، المجلد 6). (محمد عبد المنعم خفاجي، المحرر) مصر: الدار المصرية للتأليف.

16. الأصبهاني. (د ت). المبسوط في القراءات العشر (الإصدار د ط). الأردن: مجمع اللغة العربية.

17. البخاري. (1992). صحيح البخاري، ضبطه وخرج أحاديثه مصطفى ديب البغا، حديث رقم 4992، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف (المجلد 3). عين مليلة، الجزائر: موفم للنشر دار الهدى للطباعة والنشر.

18. الجوهري. (1987). تاج اللغة وصحاح العربية (الإصدار 4، المجلد 1). (أحمد عبد الغفور عطار، المحرر) بيروت: دار العلم للملايين.

19. الدمياطي. (2006). إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر (الإصدار 3). (أن مهرة، المحرر) لبنان: دار الكتب العلمية.

20. الراغب الأصفهاني. (2009). معجم ألفاظ مفردات القرآن (الإصدار 1). (صفوان عدنان، المحرر) دمشق: دار القلم.

21. الراغب الأصفهاني. (د ت). المفردات في غريب القرآن (الإصدار د ط). (سيد كلاني،، المحرر) بيروت: دار المعرفة.

22. الزبيدي. (2008). تاج العروس (الإصدار 2، المجلد 5). الكويت.

23. الزجاج. (1988). معاني القرآن وإعرابه، تح عبد الجليل عبده شلبي (الإصدار 1، المجلد 1). بيروت: عالم الكتب.

24. الزرقاني. (د ت). مناهل العرفان في علوم القرآن (المجلد 1). د ت: مطبعة عيسى الحلبي.

25. الزركشي. (1957). البرهان في علوم القرآن (الإصدار 1). (محمد أبو الفضل إبراهيم، المحرر) بيروت: دار المعرفة.

26. الزمخشري. (2000). الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (الإصدار 2، المجلد 2). (عبد الرزاق المهدي، المحرر) بيروت: دار إحياء التراث العربي.

27. السيد رزق الطويل. (1405ه). مدخل في علم القراءات (الإصدار 1). مكة المكرمة: المطبعة الفيصلية.

28. الطاهر بن عاشور. (2000). التحرير والتنوير (الإصدار 1، المجلد 1). بيروت: مؤسسة التأريخ.

29. الطاهر بن عاشور. (2007). التحرير والتنوير (المجلد 26). الدار التونسية للنشر.

30. القرطبي. (1964). الجامع لأحكام القرآن (الإصدار 2، المجلد 4). القاهرة: دار الكتب المصرية.

31. اليمين الحلبي. (بلا تاريخ). الدرة المصون في علوم الكتاب المكنون (المجلد 3). (أحمد محمد الخراط، المحرر) دمشق: دار القلم.

32. سيبويه. (1988). الكتاب (الإصدار 3، المجلد 4). (محمد عبد السلام هارون، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.

33. عبد الرحمان بن محمد. (1982). حجة القراءات، تح سعيد الأفغاني. بيروت: مؤسسة الرسالة.

34. عبد الفتاح القاضي. (د ت). البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (الإصدار د ط). بيروت: دار الكتاب العربي.

35. عبد الهادي الفضلي. (د ت). تاريخ القراءات القرآنية (الإصدار 1). بيروت، لبنان: دار القلم.

36. عبده الراجحي. (د،ت). التطبيق الصرفي. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

37. علي بن محمد الجرجاني. (د ت). التعريفات (الإصدار د ط). (محمد الصديق المنشاوي، المحرر) دار الفضيلة.

38. فضل حسن عباس. (2008). القراءات القرآنية وما يتعلق بها (الإصدار 1). الأردن: دار النفائس.

39. كرم محمد زرندح. (2007). أسس الدرس الصرفي في العربية (الإصدار 1). غزة: دار المقداد للطباعة.

40. محمد بن القاضي. (1996). موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون (الإصدار 1، المجلد 1). (علي دحروج، المحرر) مكتبة لبنان ناشرون.

41. محمد سالم محيسن. (1984). القراءات وأثرها في العلوم العربية (الإصدار 1، المجلد 1). مكتبة الكليات الأزهرية.